

تقتضيها تعاليم دينهم، وأحكام قرآنهم، وسنة رسولهم، وضرورة يقتضيها العصر الحاضر، وما وصل إليه من تقدم في سائر النواحي.

والمقام يقتضى الإيجاز والإجمال، وإنى لمتدبّع فيه حد قوله تعالى: " فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر".

فالموضوع الأول هو: حالة البلاد الإسلامية أثناء احتلالها واستعمارها:

تكاد تستوى حالة البلاد الإسلامية عامة في فترة احتلالها على خلاف في إدارة شئونها الداخلية، وسياساتها الخارجية والعسكرية، ففي الغالب كان يترك لأفرادها حرية ممارسة شعائرهم الدينية، وعوائدهم التقليديّة، أما الشئون السياسية والحربية، فكانت في يد المسيطرين.

والظاهرة العامة المشتركة، جرت على حرمانهم من نور العلم، ونعمة التعليم الصحيح، الذي سار في بلاد المسيطرين شوطاً بعيداً، أخرج العالم والفضّان والمكتشف والمخترع، والصانع الماهر، والتاجر الحاذق، حتّى وصل بهم سموّ مداركهم، وعلو كعبهم، إلى اكتشاف أسرار الكون، ومكنونات الطبيعة وخوارقها، واكتشفوا الكهرباء وانتفعوا بمزاياها، والطائرات التي تسابق الريح، والغواصات التي تسير في أعماق البحار، إلى غير ذلك مما نشاهده، حتّى وصلوا إلى اختراع آلات الدمار والهلاك، وأهل البلاد المتعمرة لاهون غافلون، لأن العلم الذي يفتح العين، وينبیر البصيرة، كان يعطى لهم بمقدار، ولا يسمح المستعمر المسيطر إلا بالنزر اليسير منه، لأنه يعرف حق المعرفة، أنه لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون.

وكان من آثار ذلك، أن سيطر الأجانب على ميادين التجارة والصناعة، وأنشؤوا الشركات، واستغلوا كنوزها، وثمّروا خيراتها، واستمرّعوا مرعاها، حتّى إن الزراع لينتج أثمن محصول، ولا يدرى ما يصنع به مشتريه منه، ولا يدرك طرق تصريفه، ولا ما يدرّسه من ربح في تصديره، إذا تاجر ففي بضاعة